جزء من الذاكرة

هند العنيگري " المغرب"

كانت ولا تزال محطة "طراموای" مكان إنفرادي، وحدتي، ملجأعزلتي، في كل مرةأمر من جانبها يستهويني الجلوس فيها، و بالضبط في آخر مقعد من المقاعد، حيثهنالك ألازم نفسي ونفسي، تلازمني، ونواسي بعضنا البعض في ذلك المكان، في صباح منه أومساء، أكتفي بمراقبة، سيرورة"طراموای" ذهابا وإيابا، وتحركات المارة صعودا ونزولا، وفي كل مرة ألازم الموضع يكون الفكر مشوش،مشتت وتنوب عنه تلك النظرات الثابثة وغالبا ما كنت أحس بدمعة ترقصعلى طرفي العين، تنتظر فقطالإشارة لبداية عرضها، يوازيها شعور غريب يختلج فؤادي هناك ودائما هناك شيء يجذبني للمكان، ربما قد يبدو أمرا غريبا أو تسمه الحماقة، لكنه مكان راحتي.

ليست ضرورة أن يربطني بالمكان قصة من حرفان، لكن ربما قد يجمعني به خبرا، إحساسا أوصدفة أو لحظة وربما مكانا نتبادل فيه الهموم وتظل ربما تكشف عن فرضيات لطالما كنت أجهلها، وفي كل زيارة دائما ما

أجدني ضمن الركاب، وفي الطريق إلى وجهتي بيني وبين نفسي أرجو أن لا، يتوقف عن السير وأن يتابع عبوره إلى ما لا نهاية له، لكن لا أظن أن هناك طريق بلا نهاية!

ربما هذا المكان حياة بعد موت، أو وجود بعد ضياع وأمن وسلام بعد غربة، ماذا عساني أن أقول عنه سوى أنه موطني الذي يجول بيني وبين خاطري، موطني الذي يأخذني بعيدا عن هذا العالم، ربما قد يربطني به إحساس صادق، استرجاع مفقود أو عودة غائب، وحدث لم يتم أم هي صدفة ستسم ذاكرتي، ويمكن أن يربطنا الشبه، ظاهرا وباطنا (طراموای) ضوضاء وتسرع وإزدحام ثم هدوء وسكون تام.

لطالما شعرت أنه يزودني ببصيص أمل أو طاقة لبداية جديدة...أجيل النظر مرة ومرة، فأتذكر حدثا جمعني به ظل جزءا من الذاكرة، لازلت أتذكره إلى حدود الأن،يوم صدفة اللقاء التي جمعتني بشخص داخل "طراموای" كان نسخة طبق الأصل بجدي الذي فقدته منذ سبع سنوات ولازلت أشعر كأن موته البارحة، نصف ساعة وأنا شاردة الذهن، أحدق في ملامحه، حتى خلته أن يكون هو، ورددت بيني وبين نفسي "إنه هو جدي، إنه هو "! لأصحو من صدمتي المؤقتة وأعود لمعانقة الواقع الأليم، وأتذكر أنني فقدته ولازلت على أمل مصادفة هذا الشخص، فموت جدي كان له وقعا كبيرا،

لا يمكن نسيانه، في حين في كل مرة تمر علي لحظات جمعتني به، لكنني سأظل على أمل اللقاء رغبة في سرقة لمحة بصر سريعة من شبيهه.. تظل راسخة في القلب والذاكرة.

دائما وفي الزاوية أراقب من بعيد بصمت مريب، هاته المحطة التي غدت مكان استجواب عاطفي، أو مصباح انتظار ومخبأ الفصول وستائر العبور، ومكاني لانسحاب القلب والنسيان سيدا العنفوان، ويبقى أثر أشياء وأخرى..

***